ترجمـــــــــــــــات |

من العدد صفـــــــــــر | ربيع الثاني | ايار | ٢٠٠٥

السياسة الاسلاميـــــــــــة
في العراق بعد صدام حسين

معهـــــد السلام الامريكـــــــــي

ترجمــــــــــــة : المعهد العراقي للحوار

السياسة الاسلامية في العراق بعد صدام حسين

تقرير خاص / معهد السلام الامريكي

ترجمة: المعهد العراقي للحوار

PEACEBRIEFS

يقدِر الإسلام أن يلعب دورًا أساسيًا في مستقبل السياسة العراقية، حيث أظهر انطباعًا فكريًا وأخلاقيًا في العراق، ويتوقّع للإسلام أيضًا أن يشغل ذلك الفراغ.

كما تسعى مراكز مؤثرة في العراق من أجل التحضير ليوم مغادرة الدول المجاورة لتأسيس القوات الأمريكية، حيث ستدعم إيران الحركات الإسلامية الشيعية، بينما ستسعى السعودية ودول الخليج لدعم القوات السنية في العراق.

كما يتوقّع أن يبرز السنّة في العراق بصورة كبيرة، حيث سيطرة جماعة الإخوان المسلمين على السنّة وتنافسها مع الجماعات الوهابية التي تحظى بدعم السعودية.

وإن ظهور القوة الشيعية في العراق بدلًا من إعطاء إيران مكانة في العراق الجديد سوف يكون تهديدًا أيديولوجيًا للإيرانيين الذين يسعون لتكوين نظام ديني في العراق. إلا أن الشيعة السياسيين في العراق ليسوا كالشيعة في إيران في مسألة قبول الحكم الديني، كما أن الشيعة ليسوا عدائيين تجاه الوجود الأمريكي خاصة لأنهم استفادوا من سقوط صدام حسين، لكنهم يصرّون على الحفاظ على الهوية الإسلامية العراقية في ظل الاحتلال.

وينظر الشيعة، الذين ابتهجوا بصورة خاصة عند سقوط صدام، إلى أن الولايات المتحدة تقف بينهم وبين الوصول إلى السلطة، وهذا يجعلهم أقل صبرًا من أي مجموعة عراقية أخرى على الاحتلال الأمريكي.

وليس من السهل التنبؤ بظهور حركة شيعية علمانية لتنافس بعض الاتجاه الديني، على الرغم من أن بعض الجماعات الشيعية ربما تؤيد الحكومة العلمانية وتعارض الحركات ذات الارتباط الديني.

وسوف تقل القوى الإسلامية في العراق بحيث إن الأحزاب السياسية والدينية ستتمتع بحرية كبيرة وسوف تعمل كمنافس للإسلاميين.

مقدمة التقرير:

ماذا ستكون طبيعة السياسة الإسلامية في العراق بعد صدام حسين؟ لقد هيمنت الصفة الوحشية لدكتاتورية حزب البعث على السياسة العراقية لعقود طويلة، وألغت بذلك النتاجات السياسية العراقية، خاصة بين المجموعات الإسلامية. أما الحركات الأخرى مثل الحركة الشيوعية وحركات الليبراليين والإسلاميين فكان صداها ضئيلًا جدًا داخل العراق.

ويركّز هذا التقرير على السياسات الإسلامية التي يمكن أن تظهر وتتطور في فترة ما بعد صدام، على الرغم من أن العراق ما يزال تحت إدارة الاحتلال الأمريكي. ويقدّم هذا التقرير افتراضًا، وهو: على الرغم من انتهاء التعسّف البعثي، ومع الانفتاح السياسي الجديد، لا توجد دلائل على أن السياسة العراقية الجديدة ستكون بعيدة عن الأنماط السياسية المألوفة في العالم العربي. وعلى الرغم من أن التاريخ والجغرافيا والجغرافيا السياسية تضع طابعها المميز لكل بلد، إلا أن هناك أنماطًا وتطلعات سياسية عامة في العالم العربي تشمل حتى العراق.

ومن هذه الخصائص أن الحركات الإسلامية في أغلب الدول العربية تمثل أهم جهة معارضة للأنظمة القائمة، لذا فمن المتوقع أن يظهر الإسلام السياسي في عراق ما بعد صدام.

ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب الإسلامية ستستفيد من حالة غياب الاتجاهات المنافسة الأخرى، وستكون هناك منافسة سياسية تضع بعض الحدود للاحتكار الإسلامي للسياسة. لكن ما هو شكل تلك الاتجاهات؟ وكيف ستتفاعل مع القوى الأخرى في البلاد؟

ويتفحّص هذا التقرير ثلاثة اتجاهات إسلامية رئيسة فاعلة في ثلاث مجتمعات عرقية مذهبية رئيسية: الأغلبية الشيعية، العرب السنّة، والأكراد.

ومن الضروري أن نتفحّص كل واحدة منها بصورة مستقلة، لأنها بوضوح تُظهر أن الإسلام السياسي بأشكاله التنظيمية الموجودة لم يتجاوز الحدود المذهبية والعرقية — على الأقل لحد الآن — رغم إمكانية تغيّر ذلك في المستقبل.

إن هذا التقسيم لا يعتمد على الاختلافات الدينية فقط، بل على قضايا اجتماعية، حيث شهد المجتمعان العربيان الشيعي والسنّي انفصالًا دام لفترة ١٤٠٠ سنة في مفاهيم عدة. وعلى الرغم من أن الشيعة والسنّة جاءوا من خلفيات قبلية متقاربة، إلا أن التشيّع اليوم ليس مجرد نظرة دينية، بل أسلوب ثقافي وطريقة عيش للشيعة في أنحاء العالم.

وقد أصبحت الثقافة الشيعية العراقية متحضّرة إلى حدّ ما، وتأثرت بالثقافة الإيرانية حتى مع حفاظها على الخصائص العربية. وبمرور الوقت أخذ كلٌّ من الشيعة والسنّة ينمو بصورة منفصلة في الكثير من المفاهيم، وأصبحت هذه الاختلافات متضمَّنة بصورة تدريجية في النظام الاجتماعي والسياسي. وبالطبع فإن الحدود الفاصلة بين المجتمعين يمكن تجاوزها على المستوى

الاجتماعي والعربي خاصة في الفترات السلمية. لكن اليوم، ونتيجة لسنوات من الطائفية والعنف السياسي في العراق، فإن الحركات الإسلامية لهذين المجتمعين تعمل بصورة مستقلة لصالح المجتمع الذي تنتمي إليه.

وعلى الرغم من أن هذه الحالة لا يمكن أن تدوم لفترات طويلة، فإن الحياة الاجتماعية والسياسية في العراق سوف تشهد الكثير من الاختلافات.

الشيعة العراقيون:

تُعتبر المرحلة الحالية منعطفًا للشيعة في العراق، حيث يمكن لهذه المجموعة التي كانت مهمّشة سياسيًا لمئات السنين تحت الحكم العثماني والبريطاني والبعثي أن تتطلّع إلى أن تصبح القوة المهيمنة في السياسة العراقية. وقد برزت آمالهم في فترة تأسيس العراق المستقل، والتي قدّمت الشيء القليل من العملية الديمقراطية من خلال البرلمان الذي انتهى مع ثورة عام ١٩٥٨، وبصورة خاصة بعد ظهور البعث عام ١٩٦٨.

وبعد سقوط نظام صدام، تحرّكت الفرص الثورية الجديدة للمجتمع الشيعي، وأظهرت موجة نشاط سياسي مفاجئة لم تكن متوقعة من قبل صُنّاع السياسة الأمريكية أو حتى من قبل السنّة العراقيين.

ولا يمكن تخمين أهمية هذا المنعطف السياسي بالنسبة للعراقيين أو بالنسبة للمنطقة. فالحقيقة أن الشيعة الآن يدركون أن الاحتلال الأمريكي هو الحائل الوحيد بينهم وبين الوصول إلى السلطة السياسية التي حُرموا منها لفترات طويلة، وأن هذا الإدراك هو المصدر الأساس للتوتر بين المجتمع الشيعي والوجود الأمريكي في العراق.

إن تحليل السياسة الإسلامية اليوم بين الشيعة أسهل منه بين السنّة، حيث إن الإسلاميين الشيعة بصورة علنية كانوا وما يزالون نشطين في المسرح

السياسي، خاصة من خارج البلاد لفترات طويلة.

فقد كان بعض قادة الحركات الشيعية مثل السيد باقر الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، على تماس منتظم مع صُنّاع السياسة الأمريكية لما يقارب عقدًا من الزمن بخصوص التغيير المستقبلي للنظام.

ويمكن القول إلى حد ما إن السياسات الدينية تتميز بين الشيعة في العالم الإسلامي بالدور المركزي الذي يتمتع به الدين.

وإن مشكلة الشيعة العلمانيين هي أن الدين هو العامل الأساس الذي يميز المجتمع الشيعي عن مجتمعات أخرى، ليس على المستوى الديني فقط، بل إن هناك الكثير من الخصائص الثقافية الموجودة في المجتمع الشيعي التي خلقت ممارسات اجتماعية مميزة.

ومن الصعب على الفرد أن يكون شيعيًا خارج النطاق الديني، لأن الدين هو الذي يجعل الشخص شيعيًا، وأن التمسك بمفاهيم المجتمع كافٍ لجعل الشخص شيعيًا. وبهذا المعنى فمن الصعب تكوين شيعة علمانيين.

ونتيجة لذلك تواجه الشيعة العلمانية مشكلة عند الدخول في السياسة؛ فإذا تجاهلوا مجتمعهم الشيعي، الذي هو جزء من كيانهم، فإنهم سوف يحصلون على تأييد ضئيل من قبل الشيعة الآخرين. وبالنتيجة فإن أغلب الشيعة لا يميلون إلى الكيان العلماني الذي ربما يتعارض مع مبادئ مجتمعهم.

لذا فقد كان البحث عن كيان سياسي لا مذهبي هو الشيء الذي دفع أعدادًا كبيرة من الشيعة للالتحاق بالحزب الشيوعي العراقي، وهو أحد الأحزاب السياسية التي تكون فيها الخلفية المذهبية أو العرقية غير مهمة.

آية الله السيستاني و(الساكتون):

إن أهم مجموعة تقليدية هي «الساكتون»، والمتمثلة بسماحة السيد السيستاني، الذي اتّبع المنهج الذي أسسه المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي، الذي توفي عام ١٩٩٢. والسيستاني من أصل إيراني، إلا أنه سكن في النجف لمعظم حياته العملية، ويتمتع بشعبية كبيرة وله أعداد كبيرة جدًا من الأتباع داخل العراق وخارجه. لقد كان التزام المنهج الهادئ في السياسة أحد المتطلبات الأساسية للبقاء منذ أن جاء البعث للسلطة، أما بقية العلماء الشيعة الذين لم يلتزموا المنهج الهادئ فكان مصيرهم السجن والتعذيب والقتل.

إن منهج «الصامت» — وهو الابتعاد اليقظ عن السياسة — يمثل المنهج الرئيس للشيعة، حيث يبقى علماء الدين منعزلين عن المشاركة في السياسة الروتينية مع الحفاظ على دور المراقبة ونقد الأحداث الاجتماعية والسياسية، والتصريح بصورة علنية في مناسبات خاصة وفي الأزمات الاجتماعية والوطنية. لذا يُعتبر تقديم الخميني في إيران مفهوم ولاية الفقيه خروجًا عن المنهج الرئيسي للشيعة، وقد كان قرارًا مصيريًا لم يوافق عليه الكثير من العلماء.

وإن اختيار السيستاني للعمل ضمن المنهج «الهادئ» في العراق جعله في نزاع مع الأيديولوجيات الحاكمة في النظام الإيراني، وهذا العمل ساعد على حمايته من المواجهة الخطيرة مع نظام صدام حسين. أما الآن، وبعد أفول حكام صدام والبعث، فقد أصبح مفهوم المنهج الهادئ ومدى ملاءمته تحت المجهر. فالمنهج الهادئ لا يعني تحاشي السياسة، لكنه يقترح منهجًا مفيدًا تجاه عرض الآراء أو التدخل في القضايا السياسية اليومية.

وقد تضاءلت الحاجة لتجنب السياسة كوسيلة للبقاء نتيجة للحرية السياسية

في العراق على المستوى الفكري والعملي في الوقت الحاضر.

والأهم من ذلك هو ظهور حاجة ملحّة لاتخاذ قرارات سياسية واجتماعية مهمة، لأن العراق مقبل على بناء صرح سياسي جديد. لذا فإن السيستاني سوف يجد منافسة في الفترة الحاضرة التي تشهد فعالية سياسية مشددة ترمي إلى الحصول على دور مهيمن للشيعة في سياسة العراق.

ويُعتبر اغتيال السيد مجيد الخوئي، وهو الابن الأكبر للسيد أبو القاسم الخوئي، عند عودته من المنفى صفعة قوية للقوى التي تمثل المنهج الهادئ. لذا فإن هذا الجناح، أي منهج الهدوء، ربما يضعف بسبب وجود عناصر شيعية نشطة أخرى بين العلماء الشيعة، وهذا بالتالي يؤدي إلى تضاؤل تأثير السيستاني.

جماعة الصدر:

قوة دينية رئيسة تتمثل بالصدريين، والمتمثلة في الوقت الحالي بمقتدى الصدر، الذي ينتمي إلى السيد محمد صادق الصدر الذي اغتيل من قبل نظام صدام عام ١٩٩٩، وهو أحد أقارب الفقيه السيد محمد باقر الصدر الذي أُعدم عام ١٩٨٠. وقد شكّل مقتدى جماعة الصدر الثاني كمنظمة الصدر.

يُعتبر مقتدى الصدر شخصية مثيرة للجدل، ودائمًا ما يُقال عنه إنه عنيد ويفتقر إلى الخبرة ويفتقر إلى الامتيازات الدينية ما عدا اسم العائلة.

وقد أصدر تصريحات يؤكد فيها على شرعية حكم والده، على الرغم من أن التقليد الشيعي يقضي بتوقف شرعية الحاكم بعد موته.

وقد تهجّم السيد مقتدى على السيد السيستاني في نيسان عام ٢٠٠٣.

وأصدر السيستاني — لفترة قصيرة — بيانًا بأن اثنين من علماء الدين، وهما محمد باقر الحكيم ومحمد إسحاق الفياض، يجب أن يغادرا البلد، وقد

استنكر العلماء الشيعة الآخرون هذه التهديدات.

وكانت هناك تقارير صحفية تقول إن مقتدى الصدر ربما يكون وراء اغتيال عبد المجيد الخوئي في حشد من الجماهير في نيسان عام ٢٠٠٣، لكن لم يتم إثبات ذلك.

بينما أبقى الصدريون السيادة والسيطرة بين أفراد المجتمع الشيعي في إحدى مناطق بغداد الشيعية، وهي مدينة الصدر (مدينة صدام سابقًا).

وكان الصدر الشخص الأساس الذي أثار قضية «الأصول الأجنبية» للعديد من علماء الدين الشيعة، وبضمنهم السيستاني «إيراني الأصل»، ومحمد إسحاق الفياض «أفغاني»، والنجفي «باكستاني».

وتُعتبر هذه التغييرات مهمة جدًا لأنها تمثل جهدًا أساسيًا في الترويج لمنهج المواطنة في السياسة الشيعية في العراق، وهذا يُسلّط الشكوك حول ملاءمة القيادات الدينية غير العراقية. لكن على الرغم من ذلك، فمن الصعب الحصول على «عراقيين أصليين» بسبب التداخل الثقافي بين إيران والعراق على مر التاريخ.

وما هو أكثر أهمية هو أن الإصرار على «التشييع الوطني» بصورة مباشرة يقوم بتمثيل منعطف رئيس في العلاقات بين إيران والعراق. فإذا نما الاتجاه الوطني في سياسة شيعة العراق فإنه سيضمن ظهور تنافس بين إيران والعراق حول التأثير على العرب الشيعة في الخليج وسوريا ولبنان، أو بين الشيعة في الشرق باتجاه شبه القارة الهندية.

ويظهر السيد مقتدى كمعارض لجماعة السيستاني، ويُعتبر منافسًا للسلطة أمام جماعة الحكيم التي تحظى بدعم إيران.

ويمكن تعويض الامتيازات الدينية التي لا يمتلكها مقتدى من خلال الدعم الذي يحصل عليه من قبل آية الله العراقي كاظم الحسيني الحائري في

طهران. ويتخذ السيد مقتدى موقفًا معاديًا لإيران، لكن إيران سوف تستفيد منه من خلال عملها على الإبقاء على علاقات جيدة مع أي جماعة شيعية عراقية يمكن أن تبرز على الساحة.

المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق:

السيد محمد باقر الحكيم هو قائد المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذي تأسس عام ١٩٨٢ وتمركز في طهران، ويتمتع بدعم الحكومة الإيرانية التي ساعدته في تشكيل فيلق بدر، الذي يتألف من عشرة آلاف رجل عراقي.

وتمتد قوة الحكيم من الدعم المتواصل الذي يحصل عليه من قبل النظام الإيراني عن طريق الدعم المادي والمالي.

وقد اقتنعت به إدارة واشنطن لفترتين متعاقبتين لأنه يمثل المعارضة الشيعية الأكثر بروزًا، وباعتباره عضوًا في المجلس الوطني العراقي، ولأنه ينحدر من عائلة شيعية عراقية مهمة.

وقد أكد مرارًا على قبوله لمبدأ التعددية في الحكومة العراقية المستقبلية.

أما عيوب الحكيم فتتضمن علاقته الوثيقة مع الحكومة الإيرانية في السابق، ومساندته لإيران خلال الحرب العراقية–الإيرانية، والتي ربما يعتبرها العراقيون خيانة. وخلال فترة إقامته في طهران كانت له سمعة سلبية بين العراقيين الذين كانوا في المنفى، إذ يعتقدون أنه لم يظهر أي تعاطف أو اهتمام بمشاكلهم.

وهو واحد من العديد من الشخصيات الشيعية التي بقيت في المنفى بدلًا من الصراع ضد صدام بين الحساسين في داخل العراق.

ويتميز الحكيم بالذكاء السياسي نتيجة لتعاملاته مع كل من واشنطن وطهران

لسنوات عديدة، ونتيجة لانضمامه للمجلس الوطني العراقي الذي يمثل الاتجاهات السياسية الرئيسية في العراق.

ومن غير المحتمل أن يتخذ موقف المواجهة الفورية، وبالخصوص المواجهة العسكرية، ما لم تتحرك واشنطن لتدمير حركته.

وبينما تقترح علاقة الحكيم بإيران أنه قد يفضل الأيديولوجية الإيرانية في دعمها لحكم العلماء، فإن الظروف في العراق تختلف عما يجري في إيران، وسوف تسعى إيران إلى إيجاد علاقات مباشرة مع إحدى الشخصيات ذات التأثير الكبير في العراق.

وعلى الرغم من شكوك واشنطن بسبب علاقة الحكيم بإيران، إلا أنها تحتاج دعمه باعتباره شخصية شيعية ذات نفوذ.

حزب الدعوة:

ربما يُعدّ حزب الدعوة أقدم حركة إسلامية شيعية عراقية، حيث إنها تعود إلى سنة ١٩٥٧، وقد أوجدها السيد محمد باقر الصدر.

ودعت هذه الحركة إلى تأسيس دولة إسلامية، وأن تطوّر الأجندة السياسية المتطرفة لحزب الدعوة كان منعطفاً ثورياً في أجواء مدينة النجف المحافظة، وسبقت بذلك وصول الخميني إلى النجف في عام ١٩٦٤.

وقد حقق حزب الدعوة ظهوراً كبيراً من خلال استخدام العنف ضد نظام صدام الذي بدأ في السبعينيات، وتم قمع حزب الدعوة بلا رحمة، وإن شجاعة الحزب في مهاجمة النظام وثمن الدماء التي دفعها أثناء المقاومة أكسبته احتراماً كبيراً وشرعية بين الشيعة العراقيين.

وقد ساهم حزب الدعوة في تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق في طهران عام ١٩٨٢، لكن انقسمت إحدى الجماعات الرئيسة بين قيادة

حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في إيران بعد سنتين، بسبب معارضتها لمبدأ حكم العلماء ـ وهو المبدأ الأساس للإمام الخميني ـ وبسبب معارضتها للجهود الإيرانية للسيطرة على حزب الدعوة.

ومنذ ذلك الوقت انقسم حزب الدعوة بين الفرع الموجود في إيران، والذي هو جزء من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ويطلق على نفسه اسم «الدعوة الإسلامية»، وبين القسم الآخر الذي يتمركز في لندن، وهو أكثر استقلالية وذو صفة عراقية مستقلة.

وقد بقي فرعا حزب الدعوة نفعِيَّين في تعاملهما مع القوة الأمريكية في الوقت الحاضر، لكن هذا التسامح ربما يكون قصير الأمد، لأن الشيعة بدأوا ينظرون إلى الوجود الأمريكي على أنه الحاجز الأساس الذي يحول بينهم وبين الوصول إلى السلطة.

وفي نظري، فإن مستقبل حزب الدعوة غير مضمون، لأن شعبيته وشرعيته السابقة ربما تتضاءل بمرور الوقت وبوجود ظروف جديدة.

وربما سيكون حزب الدعوة المنازع الأساس في الحركة الشيعية العراقية الوطنية، وبذلك يمكن أن يرتبط بقوى الصدريين لأنه .

أي حزب الدعوة .يرمز إلى دور عائلة الصدر في تلك الحركة في الماضي.

وإن دخول حزب الدعوة في مجلس الحكم العراقي تحت الاحتلال الأمريكي ربما يؤدي به إلى اتخاذ اتجاهات معتدلة مقارنة بحركة الصدر المُبعَدة عن مجلس الحكم، لكن يبقى حزب الدعوة قوة غير معروفة في المستقبل.

مجموعات أخرى:

جمعية العمل الإسلامي هي منظمة شيعية أصغر، يعود تأسيسها إلى عام ١٩٨٠ تحت جناح طهران، وكانت لها روابط مع المجلس الأعلى للثورة

الإسلامية في العراق في تلك الفترة، عندما نفذت العديد من الهجمات ضد الأجهزة العراقية داخل العراق. ويقودها في الوقت الحاضر محمد تقي المدرسي، وما يزال مرتبطاً بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

وهناك أيضاً منظمة حزب الله، التي يقودها أبو حاتم المحمداوي، والذي أعلن عن مسؤوليته عن أولى الهجمات التي قامت بها المعارضة ضد قوات صدام حسين بعد العملية العسكرية الأمريكية.

تضمينات المجتمع الشيعي:

إن تطور السياسة الإسلامية الشيعية يُتوقع أن يكون له تأثير سياسي وجغرافي داخل الوطن العربي وخارجه.

وإن الحدث المهم هو تحوّل مجتمع مهمّش إلى مجتمع سياسي مؤثر يتطلع للوصول إلى السلطة.

إن الشيعة في كل مكان يراقبون هذا الحدث، وسوف يدعمون مطالبهم في التمثيل الديمقراطي والحرية المدنية. وكانت أولى الدول التي تأثرت بهذا الحدث هي مملكة البحرين، حيث يشكل الشيعة في البحرين ثلثي السكان، لكنهم مبعدون عن السلطة السياسية من قبل الأقلية السنية كما هو الحال في العراق.

ولكن الإصلاحات الأخيرة قدمت مقاييس تمثيل أعظم في البرلمان، لكن رغم هذا فإن الشيعة ما زالوا مبعدين عن السلطة الحقيقية.

ومن المؤكد أن ظهور الشيعة كقوة سياسية رئيسة في العراق سوف يدفع شيعة البحرين للحصول على أصوات أكبر في النظام السياسي، وربما يزيد التوترات في المنطقة.

أما الجوانب الإيجابية لهذا الحدث فهو أنه ربما سيؤدي إلى إصلاحات أكبر

في الأنظمة الحاكمة، لكن يبدو أن الطبقة السنية الحاكمة في البحرين لن تتنازل عن الحكم في المستقبل.

أما الشيعة في السعودية فيمثلون نسبة من السكان .

وهذه الأرقام موضع جدل، حيث يعاني الشيعة من ظاهرة التمييز من قبل النظام السياسي الوهابي الذي يعتبر الشيعة كفاراً.

إن سقوط صدام وظهور القوى السياسية الشيعية في العراق شجع شيعة السعودية على المطالبة بالحقوق الثقافية ضمن النظام السعودي.

وإن العلاقات الحميمة بين شيعة البحرين وشيعة السعودية في منطقة الأحساء تعني أن السياسة الشيعية بين المنطقتين ستكون فعالة جداً.

وهذا سوف يتطلب من النظام السعودي إما أن يقلل ظاهرة التمييز ضد الشيعة في المملكة، أو أن يُحكم قبضته بصورة أقسى لتجنب تحكم الأقلية العلوية في الأغلبية السنية كما في سوريا.

فعلى الرغم من أن العلويين ليسوا جزءاً من الخطّ الاثني عشري لشيعة العراق وإيران، إلا أن الحكومة الإيرانية اتخذت قراراً سياسياً بعد الثورة باعتبار العلويين شيعة.

والسؤال: هل سيكون هناك تفاعل بين الشيعة في العراق والحكومة العلوية في دمشق في السنوات القادمة؟ ونذكر أن كلاً من حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق كان له حضور في دمشق منذ عام ١٩٨٠، حيث كانوا يحظون بالدعم السوري في أعمالهم ضد نظام صدام. ومن المنطقي جداً أن تحافظ القوى السياسية الشيعية الجديدة في العراق على علاقاتها مع دمشق وطهران.

وتحت تلك الظروف، هل من المحتمل أن يبحث الإسلاميون السنة في كلا

البلدين عن طرق للتعاون ضد الشيعة في كلا البلدين ؟

ويُعزى نهوض الشيعة في لبنان — وهي أكبر مجموعة مذهبية في البلد — إلى العلاقات الدينية الإيرانية بين المجتمعين منذ الستينيات.

وتستمر إيران اليوم في دعم حزب الله، وهو المنظمة السياسية الشيعية الأكثر تطرفاً في لبنان، وتساعدها بذلك سوريا التي وجدت أن حزب الله وسيلة نافعة للضغط على إسرائيل.

ويمكن أن نتوقع نوعاً من المنافسة بين إيران والعراق في إمكانية التأثير على شيعة لبنان.

وقد صرّح السيد محمد حسين فضل الله — وهو أحد الأصوات الدينية الشيعية القيادية في لبنان — بأفكار مشابهة في نيسان ٢٠٠٣، حين قال إن النجف بعد سقوط نظام صدام سوف تظهر كمركز شيعي أكثر أهمية من إيران.

ومن المعروف أن السيد فضل الله تلقى علومه الدينية في النجف الأشرف.

أما الشيعة خارج العراق مثل الأقليات الشيعية في أفغانستان وباكستان والهند، فمن المحتمل أن تطوّر اهتمامها بالنجف باعتبارها مركزاً دينياً. إن المنافسة بين القيادات الشيعية في العراق وإيران حول تلك العلاقات الخارجية سوف تؤثر على الخط الديني المتطرف في إيران ذاتها.

فإذا رفضت القيادة الشيعية العراقية مبدأ ولاية الفقيه فإن هذا المبدأ سوف يواجه ضغوطاً حتى داخل إيران، التي تشهد فيها السياسة صراعاً منذ البداية.

وقد اعترف أحمد منتظري، ابن آية الله حسين علي منتظري — الذي كان مرشحاً ليحلّ مكان الخميني في عام ١٩٧٨ — بأن النقاش الديني في النجف سوف يتفحص مدى شرعية الحاكم الديني.

ومن الصعب أن يستجيب العراقيون الشيعة للجماعات الدينية التي تصارع من

أجل الوصول إلى القيادة.

إن التنافس بين القيادات الدينية العراقية ليس جديداً في تاريخ العراق، حيث ستعتمد درجة التأييد الجماهيري لأي قائد على عوامل مختلفة، ومن ضمنها النظرة الشخصية لكل مواطن عراقي. وعلى الرغم من أن السيستاني يحظى باحترام كبير في الداخل والخارج باعتباره قيادة دينية، إلا أن الحكيم ربما يتمتع بموقع أفضل بسبب التأييد الكبير الذي توليه الحكومة الإيرانية، والاعتراف السابق من قبل واشنطن به باعتباره شخصية شيعية رئيسة معارضة.

ويمكن أن يكون للدعم اللوجستي الإيراني أثر كبير في الترويج للحكيم. وكذلك يلعب الولاء القبلي والإقليمي دوراً كبيراً في هذه المسائل، حيث إن بعض الشخصيات تكون فعالة أكثر في مدن دون أخرى.

وتلعب المصادر المالية دوراً مهماً في تقديم الخدمات الاجتماعية من أجل الحصول على أعداد كبيرة من المؤيدين، ولهذا فإن الدعم الإيراني له أهمية كبيرة، حيث إن إيران نفعية في توجهاتها، وتقدم الدعم لأي مجموعة تُعجّل خروج القوات الأمريكية من العراق، لأن ذلك يعتبر من أولويات طهران.

كما أن قبول السنة كشريك محتمل في حكومة مشتركة يُعد أحد العوامل المهمة.

وأكثر من ذلك فإن المواقف الأيديولوجية التي تتبناها تلك الحركات يمكن أن تتأثر بالمواقف التكتيكية للمجاميع الأخرى. وإن عدم الرضا المتفشي ضد الاحتلال الأمريكي ربما يدفع قادة الشيعة المعتدلين للابتعاد عن التعاون النسبي مع واشنطن واتخاذ مواقف غير منحازة.

وبالنهاية يمكننا القول إن حركة «الوطنية» ربما تكون الحركة الأقوى في نهاية المطاف، لكن أفعالها ربما لا تكون منسجمة مع واشنطن حتى إذا كانت بعيدة عن طهران.

ولا يمكن أن يظهر قائد واضح المعالم من بين الحركات الدينية المتنافسة. ومن المهم أيضاً أن نتذكر أن شيعة العراق لا يمكن حصرهم في اتجاه واحد؛ فهم موحدون تجاه الضغوط وعمليات التمييز العنصري، لكنهم كبقية المجتمعات الأخرى مقسمون إلى اتجاهات سياسية مختلفة مثل الحركة الشيوعية، والقوميين، والإسلاميين، والليبراليين، وعلى مختلف طبقاتهم وعشائرهم واهتماماتهم الإقليمية.

ولذا، فإذا وصلوا إلى السلطة، فلن يتكلموا بصوت واحد، وسيظهر بينهم حلفاء سياسيون في مجتمعات غير شيعية.

الإسلاميون السنة:

خلافاً للإسلاميين الشيعة، فإن الإسلاميين السنة كانوا بعيدين عن الأنظار لما يقارب ثلاثين سنة، إلا أن الكثير من الاتجاهات بدأت تظهر، لكن لا توجد مؤشرات واضحة لقيادات وآراء وخطط تلك الاتجاهات.

وقد كانت حركة الإخوان المسلمين القوة الإسلامية السنية القيادية في العراق، وهي من أهم الحركات الإسلامية السنية في العالم العربي.

وتأسس أول فرع لها في العراق عام ١٩٤٨ بصيغة منظمة تُعرف باسم «جماعة إنقاذ فلسطين»، وكانت عضويتها تتكون من مجموعة من العراقيين المتأثرين بكتابات الإخوان في مصر.

وبينما كانت فلسطين محور الاهتمام الأساس للدول العربية، فقد نشرت حركة الإخوان رسالتها الأساسية، وهي أن العيوب الأساسية للمجتمع المسلم ترجع أسبابها إلى الانحراف عن تعاليم الإسلام، ويمكن معالجة المجتمع المسلم من خلال الرجوع إلى تلك المبادئ.

وفي الوقت الذي أظهرت فيه حركة الإخوان حالة الامتعاض من الغرب بسبب

السياسات الإمبريالية، صرّح باسم العزامي — وهو أحد قادة الحركة — بأن الحركة الشيوعية القوية في العراق في أربعينيات هذا القرن كانت العدو الأيديولوجي الأول لحركة الإخوان.

وفي عام ١٩٥٤ تأسس فرع رسمي للإخوان المسلمين في العراق.

لقد كانت تلك الفترة فترة انتعاش سياسي للحركات السياسية في العراق، لأن السياسة لم تكن عرضة للقمع التسلطي الذي بدأ في ١٩٥٨ مع مجيء عبد الكريم قاسم. وفي عام ١٩٦٠ كانت حركة الإخوان أكبر حركة إسلامية سنية، وكانت تؤكد على التعليم، وعلى الدعوة إلى الإسلام، ورفض الطائفية بين المدارس السنية الأربعة، إضافة إلى رفض الحركات الغربية والماركسية والعلمانية والقومية.

وكانت تؤمن بأن دورها كحركة اجتماعية وسياسية يتجاوز مهامها كحزب.

وقد دعمت الحركات التي ترمي إلى التحرير القومي في الصراع الفلسطيني والصراع الجزائري ضد الفرنسيين.

وقد صرّح العزامي في عام ١٩٦١ بأن حركة الإخوان قررت أن الفعالية السياسية واجب وطني وديني.

لذلك تم تأسيس الحزب الإسلامي العراقي، وقد أكد الحزب في بيانه على النقاط الآتية:

يجب أن يتمتع المسلمون وغير المسلمين بالحقوق السياسية والشخصية نفسها.

النظام الديمقراطي مطلوب، حيث يكون حق اختيار ممثليهم والتصويت لهم.

غير المسلمين يمكنهم التصويت للرئيس.

النظام الشرعي يجب ألا يكون إسلامياً محضاً ولا مادياً، بل يجب أن يكون المجتمع محكوماً طبقاً لقانون الشريعة.

الأراضي يجب أن تعود للفلاحين.

للمرأة حق العمل.

يجب تأسيس اتحادات تجارية.

الموارد الوطنية يجب أن تعود للشعب.

يجب أن تقوم الوحدة الوطنية على أساس أن تكون نواة لمرحلة أعلى من مراحل الوحدة العربية، التي بدورها تُعد نواة للوحدة الإسلامية.

نظر إلى شعوب كل الأمم على أنها أجزاء أساسية من الإنسانية الموحَّدة، بغضّ النظر عن الأصل العرقي. وقد دعت قيادة حركة الإخوان إلى عضوية سنية شيعية مشتركة في داخل الحزب الإسلامي العراقي، لكن السيد محسن الحكيم رفض ذلك وحرّم تعاون الشيعة مع ذلك الحزب.

وأشار «عزّامي» بعد ثورة البعث في عام ١٩٦٨ إلى أن الإسلاميين كانوا يعارضون سلطة البعث العلمانية الجديدة، وعند ذلك بدأ الناشطون الإسلاميون يتعرّضون للسجن والتعذيب والتشريد.

وكانت حركة الإخوان تعتقد بأن حزب البعث قد استحوذ على السلطة من نظام عبد الكريم قاسم بمساندة وكالة الاستخبارات المركزية، واستنتجت الحركة أن «الإخوة» لن يكونوا قادرين على التغلب على سلطة حزب البعث. وبعد ذلك بقيت قيادة حركة الإخوان في المنفى، وقررت الحركة أن تعيد تشكيل الحزب في عام ١٩٩١ في الفترة التي عاصرت حرب الخليج ضد نظام صدام حسين، وتمركز الحزب في المملكة المتحدة ليحمل نفس الاسم: «الحزب الإسلامي العراقي».

وحتى عام ١٩٩١ كانت الحركة غير واثقة من أن تقوم الولايات المتحدة بإزالة صدام حسين لأنها كانت، في فترة ما، الأداة الرئيسية لظهوره.

وقد أعلنت القيادة عن أسماء أربعة من القياديين في الحزب، وهم: أسامة التكريتي، وإياد السامرائي، وفاروق العاني، إضافة إلى باسم الأعظمي، وبدأت بنشر دورياتها تحت عنوان «دار السلام». وحتى عام ١٩٩١ كان أحد أهداف الحزب هو الحفاظ على العراق من النزوح تحت التآمر الغربي بقيادة الولايات المتحدة التي كانت – حسب رؤية الحزب – تخطط لتدميره لصالح إسرائيل ومن أجل تأمين مصادر النفط للعالم الغربي.

ومثل تلك المواضيع كانت واضحة ليس فقط للإسلاميين في مصر والأردن، بل أيضاً لأعداد كبيرة ممن يعارضون الغزو الأمريكي للعراق.

وقد أكّد الحزب الإسلامي العراقي على معاناة الشعب العراقي تحت العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الأمم المتحدة، واستمر الحزب بالدعوة إلى تكوين دولة إسلامية خاصة، لأن العراق – حسب رأي الحزب – سوف يحصل على دعم وتعاطف أكبر من الدول الإسلامية الأخرى، أكبر بكثير مما يحصل عليه إذا اتخذ اتجاهاً قومياً.

وأدرك الحزب أن أي برنامج إسلامي يمكن تطبيقه بصورة تدريجية بعد سنوات من الانحراف عن أي نوع من أنواع الحياة الإسلامية. وقد تجنّب الحزب دعم أي مدرسة دينية محددة، وبدلاً من ذلك أكّد على أن كل الأحكام الفقهية يجب أن تكون مبنية على أسس متينة، وتتجاوز بذلك المدارس الفقهية التقليدية التي تعتمد على الاجتهاد.

واستمر الحزب بدعمه للتعددية ضمن نطاق احترام السلام، وكذلك دعم الديمقراطية، لكنه أدرك الأخطاء الموجودة في التطبيق الغربي للديمقراطية الذي حوّل الحرية إلى فوضى، والتعددية إلى ترويج لمصالح خاصة، والاقتراع إلى أداة لجعل الأمور المنحرفة مباحة اجتماعياً.

وقد رفض الحزب العنف السياسي وروّج للممارسات الانتخابية السلمية.

وبينما قمع حزب البعث الصدامي الإخوان المسلمين في العشرين سنة الأولى من حكمه، فإن ضعف نظام صدام بعد انتكاسته عام ١٩٩١ قاده إلى استخدام الدين كوسيلة لإثبات شرعيته.

وقد اتخذ هذه الخطوة قبل حرب الخليج لكي يحصل على أكبر تأييد ممكن، فقام بفتح مئات الجوامع الجديدة في البلاد، وأسس مدرسة دينية تسمى «جامعة صدام» كانت تدرس المنهج السني فقط، لكنها ضمّت الكثير من كتابات الإسلاميين لتمكين الخريجين من فهم الفكر الإسلامي المعاصر.

كما حاول صدام حسين شخصياً أن يظهر التقوى، وذلك من خلال مشاركته في الصلاة العامة، وزوق الأدعية والابتهالات الإسلامية، ووضع كلمة «التكبير» في العلم العراقي.

وفي تأكيد على إسلامية النظام قام بغلق النوادي الليلية ومحال بيع الخمور، وتم تعيين اثني عشر عالماً إسلامياً ليكونوا في البرلمان.

وذُكر أن صدام حسين قلّل عمليات إعدام الأعضاء المعروفين في حركة الإخوان قبل ستة أشهر من العمليات الحربية الأمريكية، خوفاً من أن الشعبية الواسعة لهذا الحزب سوف تتخلى عن النظام الحاكم في الأزمات، وخاصة مؤيدي النظام.

ومن الصعب جداً تحديد مستوى وعمق مؤيدي حركة الإخوان في العراق في خضم الفترة الصعبة التي يتعرّض لها النظام الحاكم، لكن قوة حركة الإخوان في الدول العربية مثل سوريا ومصر والأردن والخليج ما تزال موجودة، ويتوقع أن تظهر من جديد.

وقد عرض موقع الحزب الإسلامي العراقي الناطق باللغة العربية على شبكة الإنترنت الفقرات الآتية كجزء من مبادئه وقيمه:

الحزب الإسلامي يؤمن بـ:

أن المشروع الإسلامي هو الحل الأمثل لإنهاء معاناة وظلم الشعب.

أن الوصول إلى السلطة ليس الهدف بحد ذاته، بل هو وسيلة لتأسيس العالة ورفع الظلم وتحقيق الأهداف الإنسانية.

أن الحرية المفتوحة والأخوة هي أفضل وسيلة لتحقيق الحكم العادل.

أن من مصلحة العراق وأمنه أن تعمل كل الأحزاب والمنظمات على تطوير ممارسة الانتخابات السلمية، لأن هذا سوف يؤدي إلى رفض العادات المتجذرة في المجتمع التي تؤكد على العنف السياسي والعمليات الإرهابية.

أن الإسلام هو مصدر القوة والتقدم الأصيل، وهو العامل الوحيد الذي يوحّد أبناء العراق في كل أشكالهم العرقية والمذهبية.

وفي مقابلة أجرتها قناة الجزيرة التلفزيونية، أشار الرئيس الحالي لحركة الإخوان، الدكتور أسامة التكريتي، إلى القمع الذي تعرّضت له الحركة تحت حكم صدام حسين، لكنه نوّه بالأهمية النسبية لحركة الإخوان في الحفاظ على الأجواء الإسلامية في العراق، والتي دفعت صدام للتحول من شخص غير مؤمن إلى «مؤمن منافق».

واعترف أيضاً أن الحزب لا يزال يواجه الكثير من المشاكل، منها شكل العلاقة بين القيادة الخارجية – التي كان لها دور مهم في إبقاء الحركة خلال فترة نظام صدام – والقيادة الداخلية التي يمكن أن تظهر في الوقت الحالي.

واعتبر أن السنة كانوا أقل انتظاماً من الشيعة، وأن حركة الإخوان بدأت تعود بصورة تدريجية لتظهر على المسرح السياسي، وقال إن الحزب له تسعون فرعاً في العراق، حيث كان يجتذب الشباب المتحمس إلى داخله.

وتوجد جماعات إسلامية أخرى في العراق، لكن من الصعب الحصول على معلومات دقيقة أو تقييم قوة هذه الجماعات، مثل:

حزب التحرير المتطرف، الذي تأسس في القدس في البداية، وكان له فرع في العراق عام ١٩٦٩، وطالب بمنحه حق التكوين السياسي.

الجبهة الوطنية الإسلامية العراقية، التي يقودها الشيخ محمد نديم الطائي، وقد التقى مع مسؤولين أمريكيين في واشنطن عدة مرات قبل الغزو الأمريكي للعراق.

وكان الإخوان المسلمون، كونهم أهم وأكبر حركة إسلامية سنية في العالم العربي، لهم أهمية خاصة على المستوى الإقليمي، وسوف يكون لهذه المنظمات تأثير كبير على حركة الإخوان المتمركزة في العراق.

وقد عارضت المقرات في مصر والغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، ليس لأنهم يحسبون صدام حسين، بل لأنهم يعارضون التدخل الغربي، وخاصة التدخل الأمريكي في العالم العربي، إذا أدى إلى تقوية الوجود الأمريكي في المنطقة على حساب القوى المحلية.

وقد اتخذت الفروع الموجودة في سوريا وفلسطين نفس الموقف تجاه الغزو الأمريكي.

وكان للإخوان السوريين أهمية خاصة بسبب علاقتهم بحركة الإخوان في العراق، خاصة لأنهما كانتا تحت ظلم حزب البعث في البلدين.

وقد قام صدام لفترة معينة بدعم حركة الإخوان في سوريا عندما كانت العلاقات العراقية–السورية تشهد توتراً، وكانت للإخوان السورية سنوات دامية ضد حزب البعث منذ عام ١٩٦٢ بعد أن وصل حزب البعث السوري إلى السلطة.

ودعت حركة الإخوان في سوريا في السنوات الأخيرة إلى إنهاء العنف ضد النظام السوري، والفرع المعتدل للإخوان السورية المتمركز في لندن ما يزال القوة المعارضة الرئيسية في سوريا. ولا شك أن سقوط صدام حسين

ساعدهم، لأن هذا الحدث فتح الباب أمام حركة الإخوان للمشاركة في السياسة العراقية.

لذا فإن الظهور المحتمل لحركة الإخوان في العراق قد يهدد نظام الأسد في سوريا، لأنه يشير إلى احتمالية دعم الإخوان العراقية لحركة الإخوان السورية.

وكان العامل الأكثر أهمية هو نظرة حركة الإخوان في العراق وسوريا للشيعة في كلا البلدين.

لذا فمن الضروري مراقبة طبيعة العلاقات المستقبلية بين شيعة العراق وإيران من جهة، والأقلية العلوية الحاكمة في سوريا من جهة أخرى.

هل ستظهر الشيعة في العراق تعاطفاً مع الأقلية العلوية الحاكمة في سوريا؟ وإذا كان كذلك، فهل ستشهد المنطقة تصعيداً للتوتر بين شيعة العراق وسوريا من جهة، وحركة الإخوان السنية العراقية والسورية من جهة أخرى؟ وقد يخفف نمو هذه العلاقات من التوترات بين سوريا والعراق في السنوات المقبلة.

المقاومة السنية:

لم يكن السنة خاملين أثناء الموجة الكبيرة للقوة الشيعية في العراق بعد سقوط صدام، بل هناك بوادر تشير إلى أن بعض الدول العربية ربما تدعم السلطة السنية.

وطبقاً لما جاء في صحيفة واشنطن بوست في نيسان ٢٠٠٣، فإن الشيخ أحمد الكبيسي، وهو شخصية سنية عراقية قيادية وأستاذ سابق في الدراسات الإسلامية بجامعة بغداد، وكان في المنفى في دبي لمدة ست سنوات، ألقى خطبة صلاة الجمعة في أحد الجوامع السنية في بغداد، وأشار إلى مشاركة عشرات الآلاف من السنة في مظاهرات ضد الاحتلال الأمريكي، قائلاً: «نخشى من الطائفية التي يمكن أن يستغلها أعداؤنا».

وذكر عادل درويش من صحيفة ديلي تلغراف أن الإمارات العربية المتحدة حثت الكبيسي على العودة إلى بغداد لجمع التأييد السني بوجه القوة الشيعية، وقد حصل على مباركة السلطات الأمريكية للقيام بذلك عدة مرات.

وكان ولاء الكبيسي غير واضح، لكنه كان رجل دين بارز قبل نفيه، وربما كان ولاؤه للإخوان المسلمين.

والواضح أن التيارات الإسلامية السنية تدعو إلى الوحدة الإسلامية لمواجهة الاحتلال الأمريكي، من أجل تقوية الحركة الإسلامية.

في الواقع، يمكن للسنة أن يخسروا كل ما يملكون في التنافس السني—الشيعي، بينما يدرك الشيعة أنهم يملكون القوة الديمغرافية التي تمكنهم من العمل بصورة أحادية.

وهناك بعض المؤشرات على أن الإسلاميين السنة وجدوا أرضية مشتركة مع القوميين السنة، حتى بعد التباين في الأيديولوجيات، والأهم من ذلك هو عدم وجود مؤشرات واضحة على أن السنة كانوا يستهدفون الشخصيات الشيعية الرئيسية.

ومن جهة أخرى، من المؤكد أن الإخوان المسلمين والكثير من الدول العربية يسعون لتطوير بديل فاعل في المجال الإسلامي.

وبالتأكيد فإن حركة الإخوان تعمل على إعادة قياداتها المنفية إلى العراق. كما يظهر أن دول الخليج مهمة جداً لتأكيد ودعم السلطة السلمية.

المملكة العربية السعودية، التي تخشى من ظهور السلطة الشيعية في العراق، ستكون فعالة جداً في محاولاتها لتقوية التيار الوهابي في العراق من أجل حماية مصالحها، وستقوم بعض العناصر الوهابية، التي لا يمكن السيطرة عليها، بعمليات عنف ضد الوجود الأمريكي، بينما لا تسعى المملكة العربية السعودية إلى استخدام العنف ضد الولايات المتحدة في العراق.

ولا يمكن قياس مدى الدعم المحتمل للأفكار الوهابية في العراق، لكن يمكن افتراض أن الدعم سينمو مع تزايد حالة عدم الرضا والرفض للمواقف المناهضة لأمريكا.

وتستفيد الوهابية من المشاعر المتنامية ضد أمريكا، وكذلك تستفيد الحركات الإسلامية بصورة مباشرة من غياب البدائل السياسية.

لذا فإن الوهابية ربما توارت لكنها جزء من الطيف الإسلامي، وتحسنت الحياة الإسلامية السنية العراقية تحت حكم صدام.

ومع ذلك، لم تكن الولايات المتحدة العدو الرئيس للإسلاميين في فترة حكم صدام، بل كان الاحتلال الأمريكي السبب الرئيس لظهور المشاعر العدائية ضد الولايات المتحدة، خاصة إذا طالت فترة الاحتلال.

لذا يمكن القول إن التأثير الوهابي بدأ يظهر كنتيجة طبيعية أو كجزء من الطيف الإسلامي.

وفي النهاية، لا أمل أن أقول إن هناك لعبة خاسرة بين القوى السنية والشيعية في العراق، حيث يوجد تفاعل اجتماعي وحالات زواج بين المجتمعين.

وهناك اليساريون، الإسلاميون، الليبراليون والقوميون في كلا المجتمعين، الذين يمكن أن يجدوا أرضية غير مذهبية يتفقون فيها على تطوير أجندة عمل وطنية جديدة. لكن، مع الأسف، فإن الخطوط الفاصلة بين المجتمعين أصبحت أقوى بعد سقوط نظام صدام، مؤثرة بذلك على العلمانيين والإسلاميين على حد سواء في تلبية احتياجاتهم القومية.

هذه الحقيقة مهمة جداً، لأنها تقترح أن الإسلام السياسي لم يكن قادراً على تخطي الخطوط التي تقسم المجاميع الدينية والعرقية الرئيسية في العراق. ولا يوجد سبب لعدم قدرة الإسلام السياسي على القيام بذلك، لأن الأكراد العراقيين كان لديهم حركات إسلامية خاصة بهم قبل تكوين الدولة العراقية

الحديثة، تعكس علاقاتهم مع الإمبراطورية العثمانية.

حيث إن الحركات القومية الكردية في القرن التاسع عشر قادها الشيوخ الأكراد، ومن ضمن تلك الحركات كانت حركة مسلحة ضد كل من إيران والسلطة العثمانية بقيادة الشيخ النقشبندي.

وبينما بدأ الإخوان المسلمون بالتأثير على الأكراد في العراق في خمسينيات القرن العشرين، وعندما بلغ القمع البعثي ضد الأكراد في الثمانينيات ذروته، شعر الأكراد بأن الإخوان المسلمين خذلوهم، لأنهم لم يبدوا اهتماماً جدياً بالقضية الكردية، ولم يدعموا الصراع المسلح ضد صدام حسين. ونتيجة لذلك، نوى الأكراد تشكيل حركات إسلامية خاصة بهم، مصممة بصورة أفضل لتلبية احتياجاتهم القومية، وتخطّي الفجوة العرقية.

ورغم أن الإسلاميين يتحدثون ضد أي تمييز عرقي، فإن السياسة العراقية في الوقت الحالي تظهر أن الفجوة العرقية لا تزال مهمة في الأشكال التنظيمية. وقد أنشأ الأكراد حركتهم الجهادية «حركة أنصار الإسلام»، المرتبطة بأجهزة القاعدة الجهادية، رغم أن الحركة تشتتت على الأقل في الوقت الحاضر بسبب القوات الأمريكية أثناء حرب نيسان ٢٠٠٣ التي أدت إلى سقوط نظام صدام حسين، ولن يسمح الاحتلال الأمريكي لهذه الحركة بالرجوع مرة أخرى.

ومن غير المحتمل أن نرى ظهور حركات إسلامية للعرب السنة أو الأكراد في المستقبل المنظور، لأن التطلعات الكردية لم تتحقق، وبقاء الحس القومي بين الأكراد قائم، لكن هذا لا يستبعد التعاون المحتمل كمنظمات مستقلة في قضايا معينة ضمن السياسة العراقية، مثل الدعوة لإنهاء الاحتلال الأمريكي.

تعتبر الحركة الإسلامية في كردستان العراق أكبر حركة إسلامية كردية في الوقت الحاضر، وكانت جزءاً من الجبهة الكردستانية، وساهمت في الانتخابات واحتلت المكانة الثالثة بعد الحزبين السياسيين الكرديين

المهيمنين، وهما الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني الكردستاني.

كما كونت الحركة علاقات عمل جيدة مع حركات إسلامية أخرى في بلدان أخرى.

وتوجد حركة شيعية كردية صغيرة جداً تسمى «الأكراد الفيلية»، وهي موجودة في المنفى وليست من العوامل الفاعلة في المشهد السياسي الكردي.

هناك وقفة تأمل في إمكانية اجتماع الإسلاميين في العراق وتركيا بطريقة مفيدة في المستقبل، وقد يخلق هذا القلق الشديد في أنقرة وطهران.

ويمكن القول إن الإسلاميين الأكراد سيكون لهم نفوذ ضئيل في اتخاذ المواقف المعارضة للولايات المتحدة، لأن الغرب يُنظر إليه على أنه داعم للتطلعات الكردية في الحكم الذاتي.

استنتاجات

ظهرت عدة قضايا أساسية في هذا العرض السريع للمفاهيم المستقبلية للأحزاب السياسية في العراق الجديد:

الأحزاب الإسلامية والسياسية العربية ستلعب دوراً أساسياً في مستقبل السياسة العراقية بعد تحريرها من نظام صدام حسين.

على الرغم من وجود تقليد علماني طويل في العراق، فإن حزب البعث خلق استياء كبيراً داخل المجتمع، وما هو أهم هو أن يقظة نظام البعث الوحشي أفرزت فراغاً فكرياً وأخلاقياً، مما جعل الإسلام جاهزاً لتوفير نظام أخلاقي جديد للشعب العراقي.

كان هناك نمو متزايد للأعراف الإسلامية من خلال الملبس والشكل العام، وقد أثر هذا النمو على المجتمع، وهذا لم يكن ضمن حسابات إدارة الاحتلال الأمريكي.

دول الجوار تحركت مسبقاً لتأسيس مراكز تأثير داخل العراق استعداداً ليوم مغادرة الولايات المتحدة:

إيران ستدعم الحركات الإسلامية الشيعية، بينما ستدعم السعودية ودول الخليج القوات السنية عبر الإسلاميين السنة، وسيطر الإخوان المسلمون على الإسلاميين السنة في العراق.

سيكون للتمويل الخليجي تأثير على نمو القوة الوهابية، مما قد يزيد العداء للاحتلال الأمريكي، وقد يأخذون دوراً قيادياً في المقاومة المسلحة، مما يصعّب على الإخوان البقاء خارج المقاومة حتى إن لم يشاركوا بالعنف.

ظهور قوة شيعية في العراق دون إعطاء إيران دوراً في الحكومة الجديدة قد يؤدي إلى التنافس معها، ويفرض تهديداً فكرياً للمتشددين الإيرانيين.

سقوط صدام جعل الولايات المتحدة العائق بين الشيعة والسلطة الوطنية حسب رأيهم، مما يجعلهم أقل صبراً تجاه الاحتلال.

الانقسامات بين السنة والشيعة بدأت تتزايد بين العلمانيين والإسلاميين، والاتجاهات الوطنية بين الشيعة قد تظهر بشكل أكبر، ما يؤدي إلى ظهور العناصر الوطنية حتى داخل المحافل الدينية، وقد تظهر جماعة الصدر كأقوى القوى وأكثرها قرباً من الولايات المتحدة، مع تأثير السياسة الإيرانية والأمريكية على ذلك.

من غير المرجح أن يقبل العراقيون الشريعة كنظام ولاية الفقيه كما هو معمول به في إيران، حتى إن كانوا يؤيدون نوعاً من الدولة الإسلامية.

الإسلاميون السنة من الإخوان المسلمين سيكونون أكثر انفتاحاً للتعاون مع الشيعة دون غيرهم، بعد أن تكبد السنة العراقيون خسائر كبيرة مع سقوط صدام.

القوة الديمغرافية للشيعة تجعل من السهل لهم تجاهل التعاون مع الجماعات السنية، ومن جانب آخر، لن يكون هناك تعاون محتمل بين الوهابيين مع الشيعة، ما يجعل خسارة السعودية والبحرين جسيمة إذا ظهرت سلطة شيعية في العراق.

إن الإسلاميين السنة والشيعة ليسوا عدائيين بصورة تلقائية تجاه الوجود الأمريكي خاصة لأن الاثنين قد ربحوا أو حققوا بعض المكاسب من إسقاط صدام حسين لكنهم مصرون على الحفاظ على الشخصية الإسلامية للعراق وخصوصاً بوجه الاحتلال غير المسلم، حيث إنهم سيتبعون سياسة المقاومة للوجود الأمريكي وسوف يبنون إجماعا ضد أي تغييرات ثقافية في المجتمع العراقي.

مظهر الإسلاميين السنة والشيعة يشير إلى أنهم وطنيون وسوف يتعاونون مع القوى الوطنية العلمانية من أجل تعجيل إنهاء الاحتلال، ولا يمكن معرفة النقطة التي تتحول فيها المعارضة الإسلامية ضد الاحتلال إلى معارضة عنيفة لكن هذه الاحتمالية باتت وشيكة بسبب طول فترة الاحتلال نظرا للضغوطات والنتائج السلبية.

الإسلاميين السنة من الإخوان المسلمين ربما سيكونون أكثر انفتاحاً للتعاون مع الشيعة دون غيرهم، ولقد تكبد السنة العراقيون خسائر كبيرة مع سقوط صدام حسين وبهذا فهم بحاجة إلى التعاون مع السلطات الشيعية من أجل إبقاء صوتهم، إلا أن القوة الديموغرافية للشيعة جعلت من السهل للشيعة تجاهل التعاون مع الجماعات السنية ومن جانب آخر لا يحتمل تعاون الوهابيين مع الشيعة.

القوة الإسلامية في العراق سوف تقل بشكل كبير لأن الأحزاب الدينية والسياسية تتمتع بحريات كبيرة داخل البلاد لكي تنافس الإسلاميين،

بينما تقريباً في كل مكان يعمل اضطهاد التعددية السياسية لصالح الإسلاميين، سيكون من اللازم على أي وجود إداري للولايات المتحدة أن يعتمد على القوة الثابتة للسياسة الجغرافية العراقية التي يمكن تحديدها بصورة مؤقتة لكن لا يمكن أن تمحى، والعراق كدولة سيحتفظ بنظرته على أنه قائد العالم العربي وسيرى نفسه على أنه المدافع الطبيعي عن الخليج ضد القوة الإيرانية، ولديه مهمة تغيير الصفة الغربية للأنظمة الموجودة في الخليج العربي، ولديه تعاطف تجاه القضية الفلسطينية كما وسيدعم الإسلاميون والعلمانيون تلك الأهداف.

التعليق

البحث جديد لغير المطلعين، فيه تفاصيل كثيرة، يعتمد المصادر القريبة والمسموعات أكثر، ولم يستخدم أسلوب التحقق، متعاطف جدا مع العلمانيين والمعتدلين بدرجة الاندماج مع القرب من الإسلاميين.

يتخير نقاطاً حساسة تماثل العمق وينبه على قضايا من أجل إثارة الآخرين عليها، كالتحريض على إيران، وتخويف الخليجيين، واتهام بعض شيعة العراق، وإذا أحسنا الظن فانه يتلقى مخاوف من هنا وهناك ويدرجها في مقالته وبحثه.

أهم ما في الموضوع هو الاستنتاجات التي فيها تشبيهات حساسة وخطيرة وبنظرة مستقبلية يحتاج الوقوف عندها والتعامل معها بدقة وحنكة، واعطاؤها مزيداً من الاهتمام.

يمكن ملاحظة أن الكاتب لم يمس الأكراد العلمانيين بأي إشارة أو تنبيه يمكن أن يحذر من تطلعاتهم الاستقلالية، والتي هي بادية وواضحة للعيان، وركز على الشيعة والإسلاميين، فتبدو الصور مشوهة وغير عاكسة للواقع خاصة عندما يستعيد الآخرين في سرده الوضعي أو تحليلاته، وليفترض أن المشهد

السياسي يؤخذ مجمالاً وكلاً ولا يُجزأ إلى أجزاء من أجل الرجوع إلى الصورة الواقعية لاستكمال رؤيتها كما هي.

سياسة الاستنتاجات تتجه إلى:

بروز الحالة الإسلامية وقوتها بعد أن فشلت تجارة البعث وكانت سنية من كل أبعادها، وانعكاس ذلك على الفكر الديني والعلماني بشكل عام.

تصاعد التمايز الشيعي السني وسيأخذ مديات أكبر حتى من الأوساط العلمانية.

الاحتلال سبب تصاعد المقاومة، شكلي المدعومة وهابياً.

الشيعة أكثر عداءً للأمريكان لأنهم يقفون ضد استلامهم السلطة، وهذا نظر غير دقيق إن لم يكن خاطئاً لوصف الواقع.

انعكاس كون الشيعة من السلطة في بغداد هو في العلاقة مع العلويين في سوريا، وهذا استنتاج أيضاً غير دقيق، حيث نجد أن سوريا مع المقاومة السنية وليست مع الشيعة، فهذا يؤكد استحكام التفكير الطائفي السني الشيعي في ذهن الكاتب مع تركيز على التخوف من الشيعة.

تنامي الحس الوطني في الوسط العراقي بشكل عام، وتنامي مظاهر العلمانية والليبرالية والحرية لأن الضغط يدعم الحالة الدينية هيئة التحرير.